ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5942) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (14) تموز 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

من ذكريات ثورة 14 تموز 1958

ثورة 14 تموز 1958 في ذاكرة الشاعر الجواهري

إعداد: ذاكرة عراقية

يقول الاستاذ الجواهري في مذكراته:
لقد كتب الكثيرون عن ثورة 14 تموز وكان كل واحد منهم انما يكتب وفق اهوائه ومواقفه ومصالحه من هذة الثوره وزعيمها ولانني واحد من شهود العيان فيها لاسيما اني عشت وشاركت وتفاعلت مع احداثها وبخاصة مع زعيمها ابان الثوره وقبلها بعشر سنوات واكثر من ذلك فقد كنت الوحيد الذي قرأ الفاتحة عليها وانا اسمع اسماء الوزراء في الوزاره الاولى بعد الثورة. صحيح اني لا اكتب بمنهجية المؤرخ ولكني اكتب برؤية من وحي الاحداث وقناعة من شارك فيها وتحليل من خبر خلفياتها لذا وجدت لزاما علي ان اعيد كتابة التاريخ بوقائعه وحقائقه.
ان الفترات الحرجة التي سبقت الثورة والتي كان نوري السعيد يهيمن فيها على الحياة السياسية بشكل غير مسبوق وقد خلق تلك اللعنة الموروثة التي اعجزت خلفائه عن اتباع سياسة خاصه بهم. فقد كان حكمه استبداديا قضى على كل نشاط سياسي واعتمد في ذلك على اجهزة الامن والتحقيقات الجنائية السيئة الصيت مقلا في ذلك من شان السخط الشعبي.
ونيجة الوضع السياسي والاقتصادي المتردي للشعب العراقي ولدت جبهة الاتحاد الوطني من اربعة احزاب هي الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي وحزب البعث وحزب الاستقلال.
هذه الجبهة التي ساعدت على انضاج فكرة الثورة وقبلها تشكلت حركة الضباط الاحرار وكان عبد الكريم قاسم احد اعضائها وبعد ذلك رئيسا لها في اخر ساعات صبيحة الرابع عشر من تموز عام 1958 دخل عبد الكريم قاسم العاصمة بغداد بوصفه القائد غير المنازع للثورة ورئيس الحكومة واتخذ من وزارة الدفاع مقرا له ومنذ اللحظات الولى لولادة الجمهورية الجديدة رحت ابارك ما كنت اعتقده انه خلاصا وما كنت احسبه انهاءا تحريرا لقد كان ما كان من محض اعتقاد عابر ولكن هل يمكن ان ينقذ الاعتقاد والتكهن موقفا.
ليتني بقيت في قضاء على الغربي لكنت بقيت في منجاة من محاكمة الضمير صحيح ان الذي كان يجمعني بعبدالكريم قاسم هو رباط قوي يمتد الى سنوات قبل الثورة وصحيح ان عبد الكريم نفسه كان صادقا معي كل الصدق واميناً كل الامانة في الحفاظ على تلكم العلاقة ولكن هل كانت النتائج بمستوى المقدمات وهل اثمرت هذه العلاقة ما كنت اتمناه للثورة ومسيرتها وهل جرت الرياح بما تشتهي السفن.
سوف انطرق هنا الى شخصية عبد الكريم باعتباري اكثر العارفين به لقد كان عبد الكريم مصابا بمرض شبه عضال والذي شاءت الصدف ان اكون اول الشاهدين عليه في لقائي معه في لندن قبل عشر سنوات من الثوره حيث كان يعرض امامي فحوص الاطباء وكشوفهم.
واكثر من هذا وبعد عشر سنين من ذلك كنت من الشهود النادرة على عقابيل مرضه هذا وذلك عندما قام عدد من الاطباء السوفيت الذين استقدموا من الاتحاد السوفيتي بشكل سري وتحفظ وقد تمت معالجته وشفي من المرض ولكن ظلت اثاره تنعكس على شخصية وطباع وتصرفات هذا الرجل اقول هنا وبدون فخر اني كنت اكثر الناس احتكاكا بعبدالكريم منذ الايام الاولى من الثورة وقد تعرفت على شخصيته بشكل لا يعرفه الاخرين.
ان عبد الكريم من اكثر الناس ثقافة ووطنية ومن اشدهم انتماء للفقراء كما انه من الد اعداء الاستعمار وكان زاهدا بامور الحياة مترفعا عن الملذات الشخصية يملك الكثير من الذكاء ولكنه في الجانب الاخر كان يملك ثقافة محدوده لذلك كان يشطح احيانا في خطاباته وكان نموذجا للعناد وعدم المنهجية وانعدام العقيدة وكراهية روح النقد والمنافسة كل هذه الصفات ادت به الى ان يتارجح في سياسته من اقصى اليمين الى اقصى اليسار.
ونتيجة لذلك فقد وجهه ضربات موجعة للاحزاب والجماعات والافراد الذين كانوا يمثلون الدعامة الكبرى لحكمه ومسيرة الثورة ويمكن وصفه بانه شخصية وطنية وكفاحية متناقضة مزدوجة وهو لا يخلو من الرواسب والعقد لم يكن عبد الكريم شجاعا كما تحد التمجيد ولا جبانا لحد الاستهانة لقد كان فيهما كما هو في كل مفارقاته وتضارب نزعاته واهوائه ومواقفه خليطا عجيبا ومزيجا غريبا من كل ما هو الشئ ونقيضه.
خلال وجودي في مدينة علي الغربي حيث كنت اعمل مزارعا هناك وفي ساعة الصباح المبكرة من يوم 14 تموز وعندما فتحت المذياع واذا بي استمع الى ان جمهورية جديدة ولدت في العراق وكنت اطير من الفرح والنشوه حين سمعت النبا ولكن هذا الشعور اختفى حين سمعت اسماء الحكومة الجديدة واستطيع ان اقسم على اني قرأت الفاتحة على هذه الجمهورية وبقيت مستمرا في تلاوتها اياما وليالي وخامرني شعور غريب وقرات الاحداث وما سيحصل في الايام المقبلة معتمدا في ذلك على خبرتي الطويلة في الحياة واستطيع ان اترجم مشاعري ان عاقتني عقلية بتلك الجمهوريه منذ ولادتها ولادة بائسة فاشله متهوره بل ومسحوقه كولادة زعيمها.
وصلت الى بغداد في يوم 24 تموز اي بعد عشرة ايام من قيام الثوره بعد الحاح شديد من قبل قيادة الثوره والجهات السياسيه لانهم كانوا يعتقدون اني ساكون اول من يبارك قيام هذه الجمهوريه ومنذ بداية وجودي في بغداد وبعد ان عرفت ما حدث للملك فيصل الثاني وعائلته وكيف تم قتلهم والتنكيل بهم عرفت ان هذه الثوره محكوم عليها بالموت منذ ولادتها.
لم يمض شهر على قيام الثوره حتى بدات الانقسامات تطفو على واجهة احداثها وانعكس ذلك على القوى السياسيه داخل البلد وكل من عاصر احداث هذه الفتره يعرف حق المعرفه كيف كانت تسير الامور وما كان مصير الثوره والثوار بعد انقلاب 8 شباط الاسود وما جرت من ويلات على العراق وشعب العراق.

من أحداث يوم الثورة

روايات الإجهاز على نوري السعيد...

شكيب كاظم

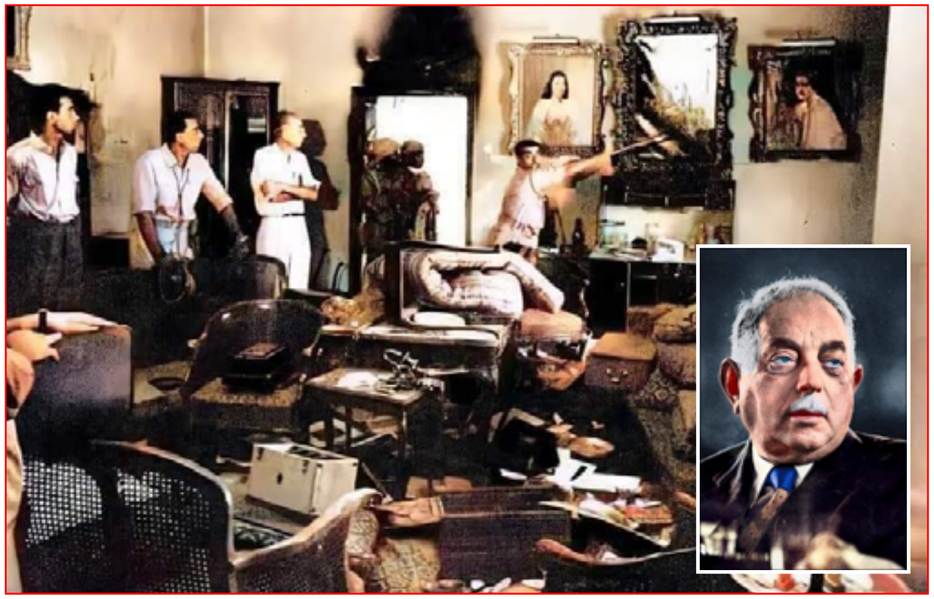

في الفصل الأول الذي احتواه كتاب (في تفاصيل الحدث. الهامش في التاريخ العراقي) للباحث الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي،وقد حمل عنوان (رئيس الوزراء الأسبق في روايات متعددة.نوري السعيد..انتحر في ساحة النصر أم قتله وصفي طاهر؟) والحلقة الثانية نشرت في اليوم التالي تحت عنوان (تماهي السعيد مع السياسة البريطانية وموقفه من الكويت قاداه إلى نهايته الحزينة). يظل الباحث باسم يلحف في السؤال عن من قتل السعيد عارضا الروايات العديدة،الواردة في الكتب،فضلا عن كونه معايشا الحدث،اذ كان في بدايات شبابه طالبا في دار المعلمين العالية.
أولا- يتساءل الباحث باسم عبد الحميد حمودي:"" هل قتل نوري السعيد باشا العراق ورئيس الوزراء الإتحادي،بيد الجنود الانقلابيين بقيادة العقيد وصفي طاهر كبير مرافقيه أم إنه انتحر بطلقات مسدس يحمله؟"".
أقول: وصفي طاهر في ذلك الوقت كان يحمل رتبة مقدم،ومن خلال استقرائي للحوادث وما سمعته في اليوم نفسه؛ يوم ١٥ تموز من صديقي الذي كان قريبا من المكان،وقد رأى السعيد منطرحا أرضا يجود بانفاسه الأخيرة،قال صديقي غفوري ابراهيم،جاء ضابط برتبة مقدم طويل القامة،قال الناس إن إسمه وصفي طاهر،واضعين في الحسبان إن وصفي لم يكن معروفا أبدا في ذلك الوقت،ما يؤكد صدق القائل،فساله،هل أنت نوري السعيد،فغمغم السعيد أن نعم فأطلق عليه صلية من رشاش ستارلنك أمريكي الصنع الذي كان يتسلح به الجيش العراقي وقتذاك،ثم حمل في لوري عسكري،قيل إنه ذهب به نحو وزارة الدفاع.
ثانيا- ويعود الأستاذ باسم ليتساءل:"" ولكن السؤال الأهم إن ما تداولته الأخبار عن سجل جثته في شارع الرشيد لم يكن حقيقيا،وان الجثة المُمثل بها كانت لشخصية أخرى،فهل من إجابة لهذا السؤال الذي يثار في هذا الموضوع؟
كانت الناس المتظاهرة في شارع الرشيد صباح ١٤تموزتتداول نظارة قيل إنها نظارة الدكتور محمد فاضل الجمالي- رحمه الله-احد رؤساء الوزراء خلال العهد الملكي،والذي اعتقل وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالاعدام ثم تقلب له السيد الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، فأطلق اللواء الركن عبد الكريم قاسم (...) سراحه مع غيره من الساسة العراقيين من رجال العهد الملكي مطلع عام ١٩٦٠ فسافر إلى تونس وعاش فيها معززا حتى وفاته،وكانت هذه النظارة لصاحب الشخصية التي مثل بها المتظاهرون والتي تشابه جثتها جثة الباشا"".
أقول: سواء تشفع الرئيس التونسي الأسبق بورقيبة للجمالي،الذي كان له فضل رائع عليه،يوم كانت منظمة الأمم المتحدة تناقش القضية التونسية واستقلالها عن فرنسة- وهذا ما قرأته ولا أعرف مدى صحته ودقته- ولم يتمكن بورقيبة من شرح وجهة نظر بلده،لانه لم يكن معترفا به دوليا بوصفه ممثلا لشعبه،فالحقه الجمالي بالوفد العراقي،ومن خلال ذلك تمكن من تبيان وجهة النظر التونسية بالاستقلال،اقول: سواء تشفع أم لا فإن رئيس الوزراء قاسم أطلق سراح السجناء كافة من رجالات العهد الملكي في ١٤تموز ١٩٦١، وليس مطلع سنة ١٩٦٠.
ثالثا- الأستاذ باسم يطلق أسماء الرتب العسكرية المعمول بها حاليا على رتب ضباط يوم الإنقلاب،وهذا لايصح بل تسمية رتبهم كما كان معمولا بها.
رابعا- ويعود الأستاذ باسم ليؤكد:"" إن لكل رواية نقيضها في الأحداث التاريخية الكبرى،وسنجد النقائض تتصاعد أمامنا ونحن نبحث هنا في مصير نوري السعيد والأسرة المالكة ومن ذلك:
إن من قتل الأسرة المالكة هو النقيب (كذا وردت) مصطفى عبد الله الذي كان أول من فتح النار على أفرادها وهم يمشون في ساحة قصر الرحاب،ثم تبعه في الرمي صاحبه عبد الستار العبوسي،وهذا الرأي يؤيده الأستاذ عبد الجبار محمود العمر في كتابه (الكبار الثلاثة)ص ٢٠٢أقول: يودي أن أدون ماكتبه الرئيس الركن عربي الخميسي في مجلة (صوت الأخر) التي كانت تصدر في أربيل العدد ٣٩٩الصادر في ١٥تموز ٢٠١٥،الذي كان قد تخرج تواً في ٩ تموز ١٩٥٨في الدورة الثالثة والعشرين لكلية الأركان،فلقد توسمت فيه الدقة والمصداقية والحيادية،فضلا عن قربه من المشاركين في الحدث من الملكيين أو الجمهوريين.

قصف الرحاب

قال السيد الخميسي وعلى إثر قصف قصر الرحاب بقذيفتي مدفع عيار ١٠٥ملم" وافق نزلاء القصر على الاستسلام دون قيد أو شرط،وكان أول من خرج من الباب ضابط الخفر (المرافق) الملازم الأول مؤنس ثابت (هكذا وردت) رافعا بيده اليسرى منديلا أبيض،وخلفه مباشرة كان الملك والوصي (كذا؟!) ومن ثم باقي أفراد العائلة المالكة وبعض أفراد الحاشية،وعندها وقف امر السرية وباقي الضباط وجميع منتسبي السرية حاملين أسلحتهم وهم بوضع التهيؤ مستقبلين المستسلمين لاستلامهم،وحين اقترب ثابت من الواقفين بانتظاره (..) فاجأ الواقفين بسحب مسدسه الشخصي وأطلق منه عدة إطلاقات،تزامنت تماما مع فتح نار شديدة وبكثافة من رماة كانوا بالطابق الأول من القصر (..) وبردة فعل غير إرادية فتح جميع الضباط بما فيهم ستار العبوسي وباقي المراتب النار على مؤنس ثابت (كذا) فأردوه قتيلا في الحال هو ومن كان خلفه،من الأفراد من العائلة المالكة دون تمييز،وكانت حصيلة الرمي من الطرفين سقوط أحد مراتب السرية قتيلا وجرح الملازم الأول مصطفى عبد الله،ومن الجانب الثاني سقوط الجميع رجالا ونساء قتلى ما عدا زوجة الوصي وشخص أخر، ومن ثمّ جرى نقل القتلى لمستشفى الرشيد العسكري بسيارة عسكرية إلا أن الجماهير(؟!) أوقفتها وسحبت منها جثة الوصي عبد الإله فقط وتصرفت بها"".
وعلى الرغم من ضعف أسلوب الكتابة،الاان ماشفع له لدي ماتوسمته من صدق الخميسي الذي كان يأمل أن يكتب بعض القادة ومن كان قريبا من حوادث ذلك اليوم،واذ لم يجد وقد مر الزمان فال على نفسه أن يكتب ماعلق في ذاكرته!
خامساً- ويواصل الباحث باسم عبد الحميد حمودي،سرده لوقائع ذلك اليوم الدامي قائلا:""المعروف المتداول إن وصفي طاهر هو الذي أطلق النار على جسد الباشا القتيل لكننا نجد بين طيات التاريخ وثائق تقول إن العقيد (كذا) وصفي لم يصل إلى ساحة النصر،وان الذي أطلق النار على نوري السعيد (بعد انتحاره) هو العقيد الركن قاسم حمودي عبد الله،الذي أكد لمؤلف كتاب (الكبار الثلاثة) هذا المعنى ص٥٢ ص ٥٣ وهو في هاتين الصفحتين يفصح عن كثير إذ يقول إنه أصطر إلى إطلاق النار بكثافة على جثة السعيد لمنع الناس من العبث، ولاثبات أمر وفاته،ولنقل جثته إلى الدفاع..".
أقول: إن أقوال قاسم حمودي عبدالله لا تكاد تصدق،فان من يروم ابعاد الناس عن جثة السعيد،يحصل بإطلاق النار في الهواء،لاعلى جثة هذا المسكين،والقيم السماوية والأرضية منعت من المُثلة،التمثيل بأجساد الموتى،لكن من أين لهذا الإنسان المجبول على الشر أن يرعوي،والعرب قالت تخاطب الإنسان: إذا إرعواء،وان قاسما هذا يريد أن يفوز بالمجد وحده؛ مجد المُثلة بجسد هذا الرجل،وقد مات القاتل والقتيل،واديل بهما فلقد مات وصفي ومن قبله نوري،فليهتبلها قاسم حمودي عبدالله فرصة سانحة فما من أحد يرد عليه!
الثابت أن وصفي طاهر هو الذي أجهز على نوري السعيد عصر الخامس عشر من تموز بإطلاق صلية من رشاشته،والباشامنطرح أرضا قرب المدرسة الأوسية الإبتدائية التي أسست سنة ١٩٥٣ في منطقة البتاويين،سادسا- قال الأستاذ باسم متسائلا عن قتيلي وزارة الدفاع:"" قبل أن نسرد كل الروايات نود القول إن في العراق يوم ١٤تموز ٥٨ كانت هناك وزارة برئاسة السيد أحمد مختار بابان،تقابلهاوزارة أخرى في الأردن فيما كانت هناك وزارة إتحادية مشتركة بين العراق والأردن يرأسها نوري السعيد وتضم وزراء من البلدين كان منهما السيدان ابراهيم هاشم نائب رئيس الوزراء الاتحادي،وسليمان طوقان وزير الدفاع الاتحادي،وهما شخصيتان اردنيتان كبيرتان،كانا قد قدما صبيحة يوم الإنقلاب إلى وزارة الدفاع العراقية في باب المعظم لاستكمال بعض إجراءات الإتحاد،فتمت تصفيتهما من قبل الجماهير المحتشدة وجنود الإنقلاب،ولم يعثر على جثتيهما مطلقا رغم مناشدات السلطات الأردنية.
كان جسم المرحوم ابراهيم هاشم ضعيفا لا يحتمل السحب (السحل؟) فصبت الجماهير حقدها على جثة المرحوم سليمان طوقان،التي كانت مشابهة لجسد المرحوم نوري السعيد"".
أقول: الواضح أن الناس فتكت بسليمان طوقان وزير الدفاع الإتحادي،ظانة أنه نوري السعيد، وأضيف أن جثة طافية شوهدت عصر يوم الإثنين ١٤تموز ١٩٥٨،وكان نظام منع التجوال قد فرض واذيع من دار الإذاعة اللاسلكية،وكان هذا إسمها الرسمي منذ تأسيسها سنة ١٩٣٦،فرض بدءا من الساعة الواحدة ظهرا،شوهدت جثة طافية وخيط دم يتسرب منها إلى الماء،فتوجه إليها بعض (البلامة) أي أصحاب الزوارق وسحبوها نحو جرف النهر، وأهالوا عليها (البواري) وأحرقوها،وظلت جثة المسكين تستعر طوال الليل حتى صباح اليوم التالي، في حفلة عرس وحشي جماعي، انطلق فيها الإنسان ونزغات شره ونزعاتهامن عقالها ففعل الأفاعيل،ولعل من بقي حيا من أبناء محلات كرخ بغداد المطلة على النهر ما زال يتذكر الواقعة.

تنظيم الضباط الأحرار... البدايات

إسراء خزعل ظاهر

اختلفت الآراء بشأن تحديد المدة الزمنية لتأسيس حركة الضباط الأحرار بشكل دقيق، إذ أنها في بداياتها كانت على شكل مشاورات فردية وغير منظمة بين الضباط القوميين والوطنيين الذين يرتبطون برباط الصداقة والعلاقات الشخصية، ولم تكن هذه العلاقات مبنية فيما بينهم على الوحدة الفكرية والخطط المنظمة والعمل الثوري.

فتنظيم الضباط الأحرار لا يزال يفتقر إلى الوثائق الرسمية التي تحدد بداية هذا التنظيم، إذ لا يمكن أن يقال عنه بأنه " تنظيم يضم مجموعة من الضباط الذين جمعتهم فكرة واحدة هي إنهاء النظام الملكي وإقامة الجمهورية والسير بطريق جمال عبد الناصر سواء عن طريق الوحدة أو بأي شكل كان من أشكال العمل الوحدوي.

فقد دفعت إجراءات السلطة القاسية آنذاك ضد العناصر القومية والوطنية في الجيش العراقي بعض الضباط الشباب إلى التكتل والعمل على مقاومة النظام الملك.

ولكن العمل الجدي المنظم لم يبدأ إلا بعد قيام ثورة تموز عام ١٩٥٢ في مصر، فأجرى رجب عبد المجيد اتصالا مع رفعت الحاج سري فيما بين شهري آب و أيلول ١٩٥٢، واتفقا على تأسيس تنظيم ثوري في الجيش وبدأ كل بمفرده في تنظيم وتجنيد الضباط الذين يثق بهم ويعتمد عليهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن آخرين قد فكروا في إنقاذ العراق وتخليصه من النفوذ البريطاني لكنهم أحجموا في اللحظة الأخيرة أو توقفوا عند الخطوة الأولى ومنهم العميد الركن حسن مصطفى الذي شرع بتنظيم للضباط الأحرار عام ١٩٥٣، وانه فاتح اللواء الركن إسماعيل صفوت ونصحه بالتخلي عن هذه الفكرة والانصراف لواجبه.

أكد بعض الضباط أن تأسيس النواة الأولى للضباط الأحرار هو بعد الثورة المصرية وهم: اللواء الركن محسن حسين الحبيب والعميد الركن إسماعيل العارف والعقيد الركن صبحي عبد الحميد والعقيد المهندس رجب عبد المجيد. اتفق اغلب المؤرخون على أن سنة ١٩٥٢ وتحديدا في أواخر آب – وأوائل أيلول تعد البداية الحقيقية لهذا التنظيم.

لقد كان رفعت الحاج سري الذي اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أول من بدأ خطواته نحو تشكيل تنظيم سري داخل الجيش فأتصل ببعض أصدقائه من الضباط الذين يشاركونه الإحساس بسوء الأوضاع وعرض عليهم فكرة تنظيم أنفسهم فوافق عدد منهم وكونوا خلايا في الجيش ومن أعضاء خليته محي الدين عبد الحميد وإسماعيل العارف وخليل إبراهيم حسين" (وصالح عبد المجيد السامرائي وشكيب الفضلي ووصفي طاهر وعبد الوهاب الأمين ومحمد مرهون ونعمان ماهر الكنعاني وعلي احمد فؤاد(والأخير انسحب في وقت مبكر من التنظيم) فقام بعضهم باجتهاده الشخصي بطبع وتوزيع نشرات تدين النظام الملكي وتدعو إلى الثورة عليه وواده.

بحثت هذه الخلية كيفية اختيار الضباط للانضمام للعمل فجرى ترشيح عدد من الضباط من مختلف الرتب والصنوف ممن تتوفر فيهم الكفاءة والإخلاص واقترحت مفاتحتهم بحذر شديد وأرسل البعض من أعضاء الخلية لمفاتحة البعض من هؤلاء المرشحين الذين لهم بهم صداقة وصلة تربطهم. من هؤلاء صبحي عبد الحميد وهادي خماس..وعندما دخل صبحي عبد الحميد كلية الأركان عام ١٩٥٣ فاتح عددا من الضباط وضمهم إلى التنظيم، ومنهم صالح مهدي عماش وجاسم العزاوي وحسن النقيب وخالد حسن فريد.

كان الضباط العراقيون في حركة الضباط الأحرار من العناصر الوطنية الواعية التي تمتلك القوة والقدرة على توجيه سياسة العراق نحو سياسة وطنية وقومية، وكانوا يشعرون بحالة التخلف التي كان يعاني منها الشعب العراقي، وتزامنت توجيهاتهم مع ظهور الأحزاب السياسية آنذاك ذات الأيدلوجيات الثورية، وازدياد نشاطها في صفوف الشعب والقوات المسلحة الذي أدى إلى زيادة الوعي الثوري لدى الضباط وبعض الجنود واخذوا يدركون أهمية الاعتماد على الجيش وطلائعه الثورية للقيام بالتغيير المطلوب الذي باتت الأحزاب السياسية غير قادرة على تنفيذه.

وكان اسلوب العمل مبنيا على نظام الخلايا (تتألف كل خلية من ثلاثة إلى خمسة ضباط وأحيانا أكثر من ذلك) خشية على سرية التنظيم ولم يكن لهذا التنظيم هيئة عليا تسيطر على إدارته كما لم تكن هناك هيئة مؤسسة للحركة بل كانت القرارات تؤخذ بشكل فردي فنتج عن ذلك ضعف في السيطرة وأخطاء في مفاتحة الضباط للانتماء إلى الحركة.

كان هدف التنظيم في بداية تشكيله ضم اكبر عدد ممكن من الضباط إليه ولاسيما الذين يتولون منهم قيادات في الوحدات الفعالة الضاربة. إذ كانت هناك أهداف وطنية عامة يشترك فيها الوطنيون كافة على اختلاف نزعاتهم وعقائدهم.

لذلك وكما اشرنا فان تنظيم الضباط الأحرار كان يضم مجموعات من الضباط تجمعهم " الصداقة " بالدرجة الأولى، فكان " تكتل قاسم وعارف " ابرز هذه التكتلات. فكانوا لا يجمعهم فكر تنظيمي موحد ولا خطة سياسية أو اقتصادية مستقبلية.

وقد أشار نعمان ماهر الكنعاني إلى القول انه في عام ١٩٥٤ كانت هناك قيادة موجودة فهم بعض أسمائها بعد حوار وانتساب للحركة وذكر أسماء بعض الأشخاص من هذه القيادة وهم محي الدين عبد الحميد، رجب عبد المجيد، إسماعيل العارف، عبد الوهاب الأمين، محمد سبع....بعد ذلك انضم إليهم آخرون عبد الوهاب الشواف، وناجي طالب متأخرا.. ويقول الكنعاني" انه في سنة ١٩٥٤–١٩٥٥ كانت توجد قيادة ومن بين الحضور عضوا فيها وهو الأخ محسن حسين الحبيب أما أنها قيادة منظمة أو غير منظمة فهذا جانب آخر".

كان رفعت الحاج سري على صلة وثيقة باللواء الركن نجيب الربيعي وفي بداية التنظيم كان يفكر أن يعهد إليه برئاسة التنظيم لما يتمتع به من سمعة حسنة واحترام معظم ضباط الجيش وقد كان يتكلم عنه دوما حتى شعر الضباط انه فعلا على رأس التنظيم وقد فاتحه رفعت في النصف الثاني من سنة ١٩٥٣ ليكون على رأس التنظيم إلا انه رفض ذلك.

كان الربيعي يؤيد تنظيم الضباط الأحرار، كما كان على علم بأهدافه إلا انه لم يقبل أن يكون على رأسه ولا احد أعضائه. وقد أشار خليل إبراهيم حسين إلى أن رئيس التنظيم الروحي والفعلي حتى أواخر سنة ١٩٥٦ كان نجيب الربيعي وكان يتصل به كل من رفعت الحاج سري ومحي الدين عبد الحميد قبل نقل الربيعي إلى خارج العراق.

كما أكد خليل إبراهيم حسين أن رفعت الحاج سري وآخرون وحتى نجيب الربيعي في تلك الفترة التي سبقت تشكيل القيادة لم يؤمنوا بتشكيلها وكانت عقيدتهم هي أن تشكيل القيادة يسبب التنافس والتناحر والحسد بين الضباط وانه إذا ما رشح ضابط للقيادة باعتباره أمر وحدة قد ينتقل ويحل محله ضابط آخر قد يطلب أن يكون في هيئة القيادة أيضا وهذا ما حدث فعلا من خلافات في القيادة التي شكلت.

× خليل إبراهيم حسين: ولد في ناحية العزيزية سنة ١٩٢٤، درس العلوم العسكرية والقانونية والاقتصادية والذرية والإسلامية في بغداد، الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، المملكة المتحدة، ألمانيا، مصر، وحصل على الشهادات الجامعية وكان أخرها حصوله سنة ١٩٧٦ على درجة الماجستير في اقتصاديات البترول والطاقة، شغل مناصب عديدة منها معاون مدير الاستخبارات بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ضابط ركن الحرب الذرية في مديرية الخطط ومدير الصنف الكيمياوي ١٩٥٦–١٩٦٧، وزيرا للصناعة ١٩٦٧–١٩٦٨، له ما يزيد عن العشرين مؤلفا. للتفاصيل ينظر: سيرته المثبتة على كتابه الموسوم الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وحلفائهم وناظم الطبقجلي والقوميين، بغداد، ١٩٨٨.

عن رسالة "إسماعيل العارف ودوره العسكري والسياسي في العراق ١٩١٩–١٩٨٩"

محاولات الاطاحة بالنظام الملكي قبل قيام ثورة 14 تموز 1958

رياض فخري علي فتاح

لم تكن الحركة التي قام بها الضباط الأحرار صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م الأولى من نوعها، فقد سبقتها عدة محاولات للإطاحة بالنظام الملكي، لكن الظروف غير الملائمة لقيامها حالت دون تنفيذها وكانت كما يأتي:

1 - المحاولة الأولى - تشرين الثاني 1956م:

فكر الضباط الأحرار في اللواء الرابع عشر التابع للفرقة الأولى، الذي كان يقوم بالتمارين والتدريبات في جبل حمرين بالتحرك من اجل إسقاط النظام الملكي في العراق.

بادر العقيد الركن عبد الوهاب الشواف آمر الفوج الثالث في اللواء الرابع عشر إلى عقد اجتماع للضباط الأحرار في ذلك الفوج وكذلك الأفواج الأخرى لتدارس الموقف، وقد استقر الرأي على وضع خطة للسيطرة على اللواء واعتقال أمره سلمان الدركزلي، ثم التحرك نحو بغداد، والاستعانة بكتيبة الدبابات التي كان يقودها العقيد طاهر يحيى للسيطرة على العاصمة بغداد، لكن تسرب أخبار تلك الخطة حال دون تنفيذها ولذلك أصدرت الجهات العليا أمرا بنقل اللواء الرابع عشر الى منطقة (H3)، لتفادي أي محاولة قد يقوم بها ذلك اللواء.

2 - المحاولة الثانية - كانون الأول 1956م:

بعد ان عاد اللواء التاسع عشر من الأردن والذي كان بأمره عبد الكريم قاسم، اتصل العقيد الركن عبد الوهاب الشواف بعبد الكريم قاسم وقرر القيام بمحاولة انقلابية في أثناء مراسيم الاحتفالات بعودة القطعات العسكرية من الأردن لكن عدم حضور نوري السعيد إلى تلك الاحتفالات أدى إلى تأجيل المحاولة الى وقت لاحق.

3 - المحاولة الثالثة - تشرين الأول 1957م:

وضعت خطة للقيام بالثورة خلال المناورات العسكرية التي كانت ستقام في منطقة بيخال شمالي العراق وكان المقرر حضور الملك فيصل الثاني وعبد الإله ونوري السعيد لمشاهدة تلك المناورات، وكانت الخطة أن يتم اعتقال الثلاثة الكبار، ثم السيطرة على بغداد والمراكز المهمة، لكن سفر ولي العهد عبد الإلـه إلى البابـان وفرموزا، وعـدم حضور نـوري السعيد حال دون تنفيذ تلك المحاولة.

4 - المحاولة الرابعة - 6 كانون الثاني 1958م:

تدارست اللجنة العليا للضباط الأحرار موضوع تنفيذ الثورة في عيد الجيش المصادف ٦ كانون الثاني ١٩٥٨م في الاحتفالات التي ستقام في معسكر الرشيد، من قبل القطعات المشاركة في تلك الاحتفالات والتي كانت بأمرة الضباط الأحرار اذ كان اللواء التاسع عشر بامرة عبد الكريم قاسم، وكتيبة المدفعية الثقيلة بأمرة العقيد الركن محسن حسين الحبيب، فيما كان الفوج الثاني بامرة العقيد محمود عبد الرزاق، ووفق خطتان، فقد اقترح عبد الكريم قاسم ان تقوم الدبابات بفتح النار على الملك فيصل الثاني وعبد الاله ونوري السعيد خلال اثناء مرورهما من امام منصة التحية، فيما يقوم الضباط الأحرار باعتقال بقية المسؤولين والسيطرة على القطعات العسكرية والزحف الى بغداد لاعلان الثورة لكن اعتراض اغلب الضباط الأحرار على تنفيذ تلك الخطة خوفا من وقوع ضحايا أبرياء، وفضلا عن خشيتهم من إصابة زملائهم الضباط الأحرار الآخرين الحاضرين في الاحتفال، كما ان موضوع قتل الملك فيصل الثاني لم يكن قد قرر بعد، مما حال دون تنفيذها، على الرغم من تحمس كل من عبد الكريم قاسم وعبد السلام محمد عارف.

عرضت خطة أخرى لتنفيذ تلك المحاولة، وقد تضمنت قيام كتيبة من المدرعات التي يقودها عبد الرحمن محمد عارف (٢)، بتطويق قصر الرحاب خلال مرورها في بغداد بمناسبة عيد الجيش يوم ٦ كانون الثاني ١٩٥٨م، وتقوم كذلك بالسيطرة على الإذاعة واعتقال (الثلاثة الكبار) وإعلان الثورة، فيما تقوم القطعات العسكرية في معسكر الرشيد بالزحف نحو بغداد والسيطرة على جانب الرصافة لكن اعتراض عبد الرحمن محمد عارف على الخطة بداعي عدم وجود عتاد كاف لمواجهة المقاومة من قبل القطعات العسكرية غير الموالية للحَرَكة، حال دون تنفيذها.

5 - المحاولة الخامسة - 17 اذار 1958:

حدثت المحاولة الخامسة لما وصل كل من الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإلـه، ورئيس الـوزراء نوري السعيد لمشاهدة احد التمارين العسكرية على الحدود العراقية – السورية في الرطبة، وقد وقف الموكب الملكي على رابية مرتفعة، فاطلقت احدى المدافع نارها صوب الرابية، فانطلقت ثلاث قنابل، سقطت احداها على بعد (٥٠٠) ياردة من الرابية التي وقف عليها الملك فيصل الثاني واعوانه، وسقطت قنبلة ثانية قريبة من مكان وقوف الملك وغطى غبارها الملك ومن معه، فيما سقطت قنبلة ثالثة في مركز الرابية التي كان يقف عليها الموكب الملكي قبل لحظات من سقوطها.

وهنالك رأي آخر حول تلك المحاولة، اذ عدت مجرد خطأ نتج عنه اطلاق تلك القنابل خلال ذلك التمرين، وقد يكون ذلك العمل امرا غير.

6 - المحاولة السادسة - 11 مايس 1958م:

اجتمع عدد من الضباط والأمرين العسكريين في شهر كانون الثاني ١٩٥٨م، وقرروا تكوين هيئة جديدة (٣) تتبنى القيام بالثورة، ثم قرروا القيام بها حين مرور قطعات عسكرية في بغداد بقيادة الضباط الاحرار، ثم اجتمعت تلك الهيئة وقررت القيام بالحركة خلال مرور اللواء الخامس عشر في بغداد قاصدا مقره في البصرة بالاشتراك مع باقي قطعات الفرقة الاولى، عندما يجري تنفيذ تمرين في الحبانية، وقد حددت ليلة ١٢/١١ ايار ١٩٥٨م، لتنفيذ الحركة، لكن نقل اللواء الخامس عشر الى البصرة بواسطة القطار دون مكوثه في بغداد، حال دون تنفيذ تلك المحاولة، فضلا عن اعتراض عبد الكريم قاسم على تلك الحركة بدعوى ان القطعات المذكورة، غير كافية لانجاح الحركة.

7 - المحاولة السابعة - 29 ايار 1958:

تضمنت المحاولة السابعة قيام اللجنة العليا للضباط الاحرار باقامة حفلة يوم ٢٩ ايار ١٩٥٨م في كلية الاركان، بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على تاسيسها، ويتم تنفيذ الثورة او الحركة عند حضور (الثلاثة الكبار) أي (الملك فيصل الثاني وعبد الإله ونوري السعيد).

وقد وضعت خطتان لتنفيذ تلك المحاولة، الخطة الأولى– وضعت من قبل رفعت الحاج سري وتضمنت قيام المدرعات الصغيرة التابعة لشعبة الهندسة الموجودة في منطقة ابي غريب باحتلال المراكز المهمة في بغداد، فيما تقوم قوة اخرى من المدرعات بمحاصرة المدعوين للحفلة واعتقالهم، ثم اعلان الثورة من الاذاعة إلا إن اعتراض بعض اعضاء اللجنة العليا على صعوبة تنفيذها لصعوبة تحرك المدرعات في المساء، فيما وضعت الخطة الثانية من قبل العقيد عبد الغني الراوي، وتضمنت قيام عدد من الضباط الاحرار بعملية فدائية لقتل عبد الاله ونوري السعيد بواسطة الاسلحة الخفيفة (الغدارات) في الحفلة، واعتقال الملك فيصل الثاني، ثم تقوم القطعات الاخرى باحتلال المراكز المهمة في بغداد واعلان الثورة، لكن سفر عبد الاله ونوري السعيد الى خارج العراق حال دون تنفيذ تلك الخطة.

8 - المحاولة الثامنة – 22 حزيران 1958م:

تضمنت المحاولة الثامنة قيام اللواء التاسع عشر الذي كان بامرة عبد الكريم قاسم في معسكر المنصور، واللواء العشرين الذي كان في معسكر جلولاء اجراء مسيرة ليلية تدريبية في بغداد، ثم يدخلان في الخفاء في منطقة ابو جسرة و ابو صيدا قبل طلوع الشمس، ثم يدخلان بغداد للسيطرة عليها، ولكن تسرب الاشاعات والاقاويل حول الغرض الحقيقي لتلك المسيرة الليلية حال دون تنفيذها ووصول الإشاعات إلى المراجع العليا، مما دفع عبد الكريم قاسم الى جعل المسيرة نهارا في اليوم الثاني، ثم اعادة اللواء التاسع عشر واللواء العشرون الى مقريهما في معسكري المنصور وجلولاء، للحيلولة دون توجه الأنظار صوب تلك المحاولة.

عن رسالة (ظاهرة الاغتيالات السياسية في العهد الملكي)

كيف صدر الدستور المؤقت لثورة 14 تموز 1958؟ ودور حسين جميل في كتابته

آية جميل عباس

الثورة فى العراق
الأهرام
٨ صفحات
١٠ مليمات
سقوط الملكية واعلان الجمهورية العراقية العربية
تأليف مجلس سيادة برياسة الفريق نجيب الربيعى ووزارة جديدة برياسة الزعيم عبد الكريم قاسم
أول قرارات الحكومة الجديدة : ١ - الاعتراف بالجمهورية العربية ٢ - الملك بالوصية العربية ٣ - احترام مبادئ باندونج
لندن : الثورة ضربة قاضية لمشروع ايزنهاور وحلف بغداد - وستلون : الثورة أخطر صدمة للغرب منذ تأميم قناة السويس

عقب قيام ثورة ١٤تموز عام ١٩٥٨، حدثت العدد من المتغيرات على الصعيد السياسي والاجتماعي دوره والاقتصادي، وكانت الثورة انعطافا تاريخيا في حياة العراق الحديث، فقد اتخذت قيادة الحكم الجديد قرارات عديدة إيذانا بأن الثورة قد شرعت فعلا بالعمل الجدي، ومن بين القرارات إلغاء الاتحاد مع الأردن) الاتحاد الهاشمي)، وإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، والصين والأردن والجمهورية العربية المتحدة وكذلك صدور قرارات على الصعيد الداخلي التي تقضي على التمييز بين المجرمين والسياسيين، وكذلك رفع الحظر عن الأحزاب السياسية وقيام الثورة بالعديد من الإصلاحات على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي منها إلغاء نظام دعاوى العشائر والإصلاح الزراعي، وانسحاب العراق من المنطقة الإسترلينية، وتتطلب هذه المرحلة وجود دستور جديد يعمل به يتماشى مع التغيرات الجديدة؛ لذلك تقرر إنهاء العمل بالدستور العراقي لعام ١٩٢٥ منذ صباح ١٤تموز ١٩٥٨.

كانت الثورة عازمة منذ البداية على وضع دستور للبلاد لغرض نقل الثورة الى وضع دستوري ثابت،وبشأن حكم القانون الأساسي العراقي بعد نجاح الثورة قال حسين جميل: "من المعلوم أن المتفق عليه إذ حدث انقلاب سياسي في أي بلد ونجح كما هو تم في العراق يوم ١٤تموز عام ١٩٥٨ الماضي من المتفق عليه أن الدستور في هذه الحالة يسقط حالا من تلقاء نفسه، وقد طبق هذا المبدأ في إحداث كثيرة قديمة وجديدة منذ الثورة الفرنسية حتى اليوم، فقد سقط دستور عام ١٨١٤، بنجاح ثورة ١٨٣٠، وخلع الملك شارل العاشر، وسقط دستور عام١٨٣٠بنجاح ثورة عام ١٨٤٨، وخلع الملك لويس فيليب، وكان من نتائج الانقلاب الذي قام به لويس بونابرت ١٨٥٢، ان سقط دستور عام ١٨٤٨، كما ان سقوط لويس بونابرت عام ١٨٧٠، جعل دستور ١٨٥٢ ملغيا، وفي أحداث العصر الحديث كان نجاح الثورة المصرية في عام ١٩٥٢، مسقطا دستور عام ١٩٢٣، وعلى هذا فأن من حق زعماء حركة ١٤تموز عام ١٩٥٨، في العراق ان يعدو القانون الأساسي العراقي وتعديلاته ملغاة بما يتضمن من مؤسسات دستورية كمجلس الأعيان المعين جميعه من قبل الملك والمجلس النيابي المفروض نظريا انه ينتخب من قبل الشعب وكلنا نعرف كيف تم اختيار أعضائه وان من حقهم ان يقروا وضع دستور مؤقت للحكم حتى يتم وضع دستور مبني على أسس الديمقراطية الصحيحة والسليمة ويقر للشعب سيرته الحقيقية وللمواطنين حقوقهم كاملة من سياسية واجتماعية وان تقرر فيه الضمانات اللازمة وتستبعد منه كل عيوب دستور عام ١٩٢٥، وتعديلاته تلك الدستور الذي وضع للعراق في وزارة المستعمرات البريطانية ودوائرها".

اتصل في ٢٠تموز عام ١٩٥٨، محمد صديق شنشل وزير الإرشاد، ومحمد حديد وزير المالية بالمحامي حسين جميل وكلفاه بوضع مسودة دستور مؤقت، وقد طلبا منه أن يراعي في عمله نقطتين هما: النص على أن العراق جزء من الأمة العربية، وعلى ان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن، وقد تشكلت لجنة لوضع الدستور المؤقت من السادة: حسين جميل، حسين محيي الدين، وعبد الأمير العكيلي،معتمدة في عملها على دستور ١شباط ١٩٥٣المؤقت، ودستور٢٣حزيران عام ١٩٥٦المصريين، وذلك بالنظر للتشابه بين وضع الجمهوريتين بعد الثورتين ولتشابه حاجات الحكم في أعقاب الثورة)، فضلا عن اقتباس بعض الفقرات من مناهج حزب المؤتمر الوطني، وفي ٢٧تموز عام ١٩٥٨، أعلن عبد الكريم قاسم عن انبثاق الدستور المؤقت بعد أن صادق عليه مجلس الوزراء، ومجلس السيادة وأشار عند الإعلان عن الدستور المؤقت إلى أن الدستور القديم كان قد وضعه مادتين هما: العراق جزء من الأمة العربية، ويقوم الكيان العراقي على أساس من التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم، وبعد العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن، ويقر الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية، وقد كان كامل الجادرجي، ومحمد صديق شنشل قد كلفا مسعود محمد وإبراهيم احمد سكرتير الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان – العراق، في عام ١٩٥٦، بكتابة نص حول حقوق الكورد القومية؛ ليكون ضمن منهاج حزب المؤتمر الوطني الذي لم تجزه السلطة في حزيران عام ١٩٥٦، ثم صيغ ما قدمه الاثنان حينذاك صياغة جديدة لتكون المادة (٣) للدستور المؤقت، كانت المادة (٣) تعني الشراكة بكل ما تعنيه هذه الكلمة قانونيا، ولم يفهمها الآخرون لاسيما العسكريين وحتى بعض السياسيين هكذا، وكانت في رأيهم تعزيزا للوحدة الوطنية أو ترضية الكرد، ولو بشكل مؤقت، ان هذا الفهم والتوجه، كانا السبب في أن تلك المادة لم تترجم الى الواقع إلا في حدود شكلية وضيقة وظلت فقراتها مرنه طوال مدة حكم عبد الكريم قاسم، وهي تمثل القاعدة في حق الحكومة بمطالبة الكرد بالولاء لها، وفي حق الكرد بالمقابل بمطالبة الحكومة بحقوقهم.

ونصت المادة (٤) على أن الإسلام الدين الرسمي للدولة وقد أضاف هذه المادة مجلس الوزراء عند إقرار الدستور، وذكر حسين جميل عن إضافة المادة (٤): "لم احدد دين الدولة الرسمي لأني شخصيا مع الدولة العلمانية وهذه المادة مجرد حبر على ورق ومجاملة واستطيع ان أقول نفاق"، ولكن المادة (١٨)نصت على حرية الدين والمعتقد لدى الطوائف غير الإسلامية، وعدت بغداد بموجب نص المادة (٥) عاصمة العراق، ولكن أغفل النص جواز اتخاذ عاصمة أخرى بصورة مؤقتة عند الضرورة، وختم الباب الأول بالمادة (٦)التي نصت على ان يعين العلم العراقي وشعار الجمهورية والأحكام الخاصة بها بقانون.

وبشأن الدستور ذكر حسين جميل: "أن وضع الدستور استغرق يومين فقط، لأنه مؤقت أريد به نقل الثورة إلى وضع دستور دائم، وأن المسودة قبلت في مجلس الوزراء بدون مداولة، أو لم تناقش مواده مناقشة مستفيضة، وعميقة ثم أنه لم يعرض على الرأي العام او على غيرنا من القانونيين لإغنائه بملاحظاتهم، وقد اقر حرفيا بعد أن أضيفت له مادتا الإسلام دين الدولة الرسمي المادة(٤)، والقوات المسلحة في جمهورية العراق ملك للشعب، ومهمتها حماية سيادة البلاد، وسلامة أراضيها المادة(١٧)، وتساءل حسين جميل هل كان بإمكاننا أن نضع دستورا نحدد فيه أهدافا ومبادئ متجانسة ترضي الاختلاف الفكري والعقائدي لمختلف القوى السياسية التي أسهمت في الإعداد للثورة؟".

عن رسالة: حسين جميل ودوره السياسي في العراق ١٩٥٤–١٩٦٨.

من ذكريات ثورة 14 تموز 1958

بلقيس شرارة

عشية الثورة

أطلق سراح أبو رفعة كامل الجادرجي من السجن في شهر حزيران عام ١٩٥٨، أي قبل انتهاء مدة المحكومية ببضعة أسابيع، و عادت معه بوابة الدار المؤدية للجناح الخاص به إلى نشاطها السابق. تفتح صباحا و لا تغلق إلا ليلا، و توالت زيارة الناس له بانتماءاتهم المختلفة، و عاد "سلمان" موظف الأمن إلى تواجده في شارع طه، يقوم بواجبه اليومي، مسجلاً أرقام السيارات الواقفة أمام باب الدار، ليبعث بها تقريراً يومياً إلى مديرية الأمن!

كانت مديرية التحقيقات الجنائية في العهد الملكي تقوم بحملة واسعة لتجنيد رجال شرطة الأمن السريين، من بين الطبقة الفقيرة العاطلة عن العمل، و التي لها معرفة و لو بسيطة بالكتابة و القراءة لمراقبة المعارضة في البلد. فجندت عدداً كبيراً منهم لمراقبة الناس و كتابة التقارير اليومية، و بثت عيونها عنهم في كل مكان، فلم تقتصر على مراقبة أعضاء الحزب الشيوعي الذين كانوا دائما من المطاردين و المشردين، و إنما شملت جميع القوى المعارضة لسياسة النظام الملكي، من الديمقراطيين و اليساريين و البعثيين و القوميين. و قد وقع الاختيار بالصدفة على شخص اسمه سلمان لمراقبة دار كامل الجادرجي.

كان سلمان قميء المظهر، رث الثياب، يتجلى الذل على قسماته، و يؤس الفئة التي جند منها. امتهن هذا العمل البائس الذي يدر عليه راتبا بسيطا، يقيه و عائلته من شظف العيش و الجوع التي تعاني منه تلك الطبقة التي ينحدر منها. نظرات الاحتقار لم تكن تُخفى عليه، من قبل أهالي الشارع لقيامه بهذا العمل الوضيع؛ فوظيفته تحتم عليه الوقوف في مدخل شارع طه، من الساعة التاسعة صباحاً حتى المساء، يتطلب واجبه اليومي تسجيل أرقام السيارات و أسماء الأشخاص الذين يزورون دار كامل الجادرجي. يقف على مقربة من الدار، يراقب الداخلين و الخارجين منها، صباحا و مساءً، يضيف أسماء جديدة إلى قائمته، كلما شاهد وجوهاً جديدة!

تعامل معه أفراد العائلة باهمال، فالتجسس علنا كان أو سراً، لم يكن في يوم من الأيام عملاً محترماً في العراق. و لكن اختفى سلمان فجأة من الشارع، عندما صدر الحكم بالسجن ثلاثة أعوام على أبي رفعة في عام ١٩٥٦، و عاد ثانية عندما أفرج عنه في شهر حزيران من عام ١٩٥٨، فاحتل سلمان ثانية مكانه المعين في الشارع، مواظباً في وظيفته، يسجل يومياً أرقام السيارات و أسماء أصحابها، ليضيفها إلى ملف مديرية التحقيقات؛ يكتب يومياً نفس التقارير، التي تضاف إلى ملف الجادرجي.

يوم الثورة

كنا ننوي رفعة و أنا، السهر في نادي المنصور ليلة الثورة. في المساء أتصل أبو رفعة تلفونياً، طالباً من رفعة ألا يتأخر في السهر تلك الليلة، لأن الوضع في العراق غير طبيعي، دون أن يضف شيئا على ذلك.

في الصباح الباكر جرس التلفون الداخلي ثانية، رفع السماعة رفعة، وإذا بوالده يقول: قامت الثورة من قبل الجيش و أطيح بالنظام الملكي و الحكومة.

اتجهنا حالاً نحو غرفته، كان جالساً يستمع إلى الراديو يذيع بيانات الثورة. و أصغينا للبيان الأول الذي أذيع بصوت عبد السلام عارف، الذي كان يعاد بين قاطع من الموسيقى العسكرية. كان بيد أبو رفعة قلماً يسجل به الأسماء الذاعة من الراديو. لم تمض إلا ساعة حتى امتلأت غرف و حديقة الدار بالناس من كل حدب و صوب. فتركتُ غرفة أبو رفعة و اتجهت نحو غرفة أم رفعة التي امتلأت بدورها بالنساء.

أمتلأت غرفته بأناس من مختلف الرتب و الطبقات. شخصيات سياسية معارضة، منها ألبعثي و الشيوعي و الديمقراطي و القومي، مهنيون من جميع الاتجاهات و الملل، أكراد و شيعة و سنة و مسيحيين. كبار من الشيوخ و شباب متحمسون. أصبحت دار أبو رفعة في تلك الساعات المزار الذي يأوي إليه الناس، فهم يجهلون أسماء القائمين بالثورة من العسكريين من أمثال عبد السلام عارف أو عبد الكريم قاسم! و لكن الجميع يعرفون الجادرجي.

وغصت حتى الحديقة بحشود الناس، يتوافدون طيلة اليوم. وقد يدخل ليبارك أبو رفعة و آخر يخرج. حمزة القهوجي، مشغول في صنع القهوة العربية و تقديمها للوافدين، كراسي الحديقة لم تكف عن استيعاب الحشد الكبير منهم. فبعضهم واقف يتحدث مع مجموعة و آخرين جالسون. و امتزجت أحاديثهم بهتافات المتظاهرين الذين بدأوا يتجهون نحو الدار في شارع طه.

***

كان حمزة رجل وقور يحترمه الجميع، مرهف الحس، ثاقب النظر، له نظرته الخاصة، التي تعلمها من خلال تجربته التي عاشها في الجيش، إذ كان نائب عريف في الجيش العراقي و يتمتع بشخصية عسكرية محترمة. كان يراقب الداخلين و الخارجين من دار أبو رفعة، يحس بتقلبات الأوضاع السياسية و بالجزر و المدّ من خلال تلك البوابة؛ و كانت تعليقاته ذكية و أحياناً لاذعة، عن بعض الزوار الذين يتغيبون عن زيارة أبو رفعة، حتى يجدوا الظرف المناسب لزيارته.

كانت باب الدار هي البارومتر بالنسبة له! فعندما ينحسر عدد الزوّار، يشعر أن الوضع السياسي في البلد متوتر، و إن السلطة الحاكمة بعيدة عن معالجة الأزمة التي تفاقمت في البلاد نتيجة احتدام الصراع السياسي الذي يبلغ الذروة أحياناً عندما تحاول السلطة حل الأزمة السياسية بإلغاء الأحزاب و تعطيل الصحف. و لكن عندما يتوافد عدد كبير من الزوّار، بما في ذلك أولئك الذين يشغلون مناصب مهمة في الدولة، يشعر حمزة عندئذ أن هناك انفراج في الوضع، و البلد بعيد عن الأزمات السياسية!

كان من واجبات حمزة إضافة للحراسة، طحن القهوة العربية و الإشراف على تخميرها بصورة صحيحة، و تقديمها للضيوف. فيجلس في الحديقة التابعة للمطبخ، أمامه الهاون الذي نستمع إلى طرقاته الموسيقية المتناوبة بين ارتفاع و انخفاض الصوت في طحن القهوة كما هي في المجالس العربية، و إلى جانبه المنقلة التي يضع فيها دلة القهوة الكبيرة على النار المشتعلة فيها، يحركها بين الفينة و الفينة، ثم يصفيها، و يسكبها في دلة الفضة الصغيرة قبل أن يقدمها إلى الضيوف بأقداح القهوة الصغيرة، يضعها بيده فوق بعضها البعض. أصبح صوت الهاون مقترن بنكهة القهوة التي تفوح رائحتها في أجواء الدار. أما في المساء، فقد كان سماور الشاي يحتل المركز الرئيس، فيظل شامخاً على طاولة الشاي، تحيطه باقة من الاستكانات الفارغة التي تنتظر ملأها.

نصب الجندي المجهول و الرابع عشر تموز و الحرية

طلب رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم من رفعة تصميم ثلاثة أنصبة، الجندي المجهول، نصب ١٤ تموز و نصب الحرية.

زرنا جواد – رفعة و أنا– في داره في المساء بعد ثورة ١٤ تموز بأشهر، وحدثه رفعة عن مشروع نصب ١٤ تموز، و قدم له رفعة قاعدة لبناء ضخم تشبه الالافتات التي كانت ترفع في التظاهرات آنذاك، على أن يملأها بالجداريات أو النحت النافر/ relief. أما بالنسبة للجندي المجهول فقد صممه رفعة بأقل من ساعتين.

ثم سافر رفعة إلى لشبونة عاصمة البرتغال، للتفاوض مع مؤسسة كولبكيان على التبرع كلفة الملعب الذي سيقام في بغداد، عندما كان محمد حديد وزير المالية، و وزير التخطيط/الاعمار بالوكالة، و طلب رفعة أن يرافقه أكرم فهمي، المسؤول عن الرياضة و الألعاب في العراق آنذاك. و بعد الانتهاء من المباحثات، اقترح رفعة على روبرت كولبكيان التبرع ببناء بناية متحف للفن العراقي الحديث، الذي سمي باسم كولبكيان في البداية، ثم أصبح متحف الفن الحديث.

من كتاب (هكذا مرت الأيام) الصادر عن مؤسسة المدى.

عندما أنشدت أم كلثوم لثورة تموز 1958

مجدي الحكيم

بعد قيام ثورة ١٤ تموز في العراق وكبادرة تحية ومجاملة لثورة تموز وشعب العراق،، ارتأت القيادة المصرية ان تقدم ام كلثوم تحية لشعب العراق بهذه المناسبة،، اتصلت الاذاعة المصرية بأم كلثوم، وأصرّت ان صوتها لن (يطلع) إلّا في اغنية،، ومع اصرار الاذاعة عليها قالت: سوف أحضر الى الاذاعة وأرى هذا الكلام،، جاءت ام كلثوم الى الاذاعة وأعطيناها الاوراق المدونة فيها التحية،، (والكلام للاعلامي مجدي الحكيم) والتي ستقرأ منها التحية والتي تبدأ،، (يا شعب العراق،،، ياالشعب العريق)فقالت لهم ام كلثوم: وكيف اقرأ هذه الكلمات،، فقاموا بإحضار بعض المذيعين لها،، وقرأوا لها الكلمة فقالت لهم: (قولوه انتو بقى) فقالوا لها: ما هو الحل،،؟؟ قالت ام كلثوم: خدوا هذه الاوراق وأذهبوا بها الى الشاعر محمود حسن اسماعيل وهو يكتب قصيدة وأنا أغنيها،، المشكلة هنا التي قابلتهم،، هي كيف سيقابلون محمود حسن اسماعيل،،، وهو مانع اي شخص من زيارته في البيت،، فالعلاقة معه كانت تنتهي خارج المكتب،، وفي مهمة مثل هذه،، ذهب اليه مجدي الحكيم،،، ، وقال له: ان ام كلثوم هي من أرسلتني اليك،، فكتب محمود حسن اسماعيل قصيدة (بغداد يا قلعة الاسود)،،، هنا قالت ام كلثوم: هذه القصيدة لن يلحنها غير رياض السنباطي ولا تخبروه بأني من سيقوم بغنائها،، وكانت ام كلثوم في ذلك الوقت على خلاف مع السنباطي،،، وبالفعل ذهب الاعلامي مجدي الحكيم الى السنباطي وأعطاه القصيدة،، وبعد ان لحن القصيدة السنباطي،، سأله الحكيم: من أنسب صوت يؤدي هذه القصيدة،،؟؟ وطرح السنباطي بعض الاسماء من الفنانات العربيات،، فردّ عليه الحكيم قائلاً: يعني تهنئة من مصر لبغداد وتغنيها مغنية غير مصرية،،، ازاي ده،،؟ ؟،، قال الحكيم للسنباطي: ما رأيك في ام كلثوم،،؟ ؟،، قال السنباطي للحكيم: الاسم ده متقولوش،، وخدّ اوراقك وإمشي من هنا،، اتصل الاعلامي مجدي الحكيم بمكتب الرئيس جمال عبد الناصر وأخبرهم بالقصة وأعطاهم رقم تليفون السنباطي ليتصلوا به،، وبالفعل اتصلوا به وبعدما ردّ السنباطي على التليفون،، وجد الرئيس عبد الناصر هو من يكلمه بنفسه،، هنا تغيرت نبرة صوت السنباطي ووافق ان تغني ام كلثوم القصيدة ولكن وضع شرط وهو ان ام كلثوم لا تكلمه ولا تلقي عليه السلام،، وتم له ما أراد،، وانتهى من تسجيل الاغنية من اول مرّة،، ونجحت الاغنية نجاحاً ساحقاً،، وهنا كلمات الاغنية،، القصيدة،، الانشودة،،

بغداد
بغداد يا قلعة الاسودِ
يا كعبة المجد والخلودِ
يا جبهة الشمس للوجودِ
سمعت في فجرك الوليدِ
توهج النار في القيودِ
وبيرق النصر من جديدِ
يعود في ساحة الرشيدِ
بغداد يا قلعة الاسودِ

زأرتِ في حالك الظلام
وقمتِ مشدودة الزمامَ
للنور للبعث للامام
لبأسك الظافر العتيَدِ
ومجدك الخالد التليدِ
عصفت بالنار والحديدِ
وعدت للنور من جديدِ
بغداد يا قلعة الاسودِ
يا عرباً دوخوا الليالي
وحطموا صخرة المحالِ
ضمّوا على شعلة النضالِ
مواكب البعث والصعودِ
لقمة النصر في الوجودِ
عودوا لايامكم وعودي
كالفجر في زحفك الجديدِ
بغداد يا قلعة الاسودِ
قد آذن الله في علاهُ
ان ينهض الشرق من كراه
ويرحل الليل عن سماه
وتسطع الشمس من جديدِ

من لقاء اجري مع الاعلامي المصري مجدي الحكيم.

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
العدد (5942) السنة الثانية والعشرون -
الاثنين (14) تموز 2025
www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون